الفصل الثالث
عوامل بقاء العربية حيَّة عبر العصور

اللغة العلمية هى اللغة التى يستطيع بها الفرد أن يستوعب ما هو متاح من علم وفكر ، وهى اللغة التي تمكّن أفراد الأمة بمرونتها ودقتها من تأصيل علومهم وتنقيحها والإبداع فى جوانب شتى منها ؛ وهذا ما حدث بالفعل للغة العربية فى عصور النهضة العلمية فى القرون الخوالي . ولقد شرح الدكتور سيد هدارة ، فى بحث له ، سمات أية لغة كي تكون لغةً للعلم ، وتكلم فى الموضوع ذاته علماء آخرون ، وعليه فلسوف نعرض لآرائهم ونلخص أقوالهم فيما يلى من فقرات .

خواص اللغة العلمية

اللغة (أو الأسلوب) العلمية تتسم بخواص وتتصف بصفات من أهمها :

١ ـ ***الوضوح*** : الذى لا يحتمل اللبس ، فالغرض الأساسى للغة العلم هو تفسير ظاهرة أو شرح طريقة ، ولا يمكن تحقيق ذلك بلغة غير صريحة وواضحة أو بكلمات مبهمة غير محددة المعنى .

٢ ـ ***سلامة البنيان اللغوى والإيجاز*** ، حتى يمكن أن تعيه الذاكرة فى يُسْرٍ ، وحتى يتحقق للغةٍ هذه الميزة لابد وأن تحتوى على عناصر هى :

(أ) ***الرموز*** : وهى عادة من حروف الهجاء ، تُستخدم للتعبير عن أشياء متعارف عليها ، كرموز العناصر الكيميائية ووحدات القياس وغير ذلك ، فنجد مثلاً الدكتور عبد الصبور شاهين[1] يورد من معجم « المصطلح » تأليف حسين السمران ، ومن معجم المصطلحات العلمية لعبد العزيز محمود وآخرين ، ومن موسوعة الثقافة العلمية بإشراف د / أنور عبد الواحد ، جدول العناصر الكيميائية ، ومنه نختار العناصر الآتية :

---

(١) شاهين (د / عبد الصبور) : العربية لغة العلوم والتقنية . دار الاعتصام بالقاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .

العنصر	رمزه	وزنه الذرى	رقمه الذرى
ذهب	ذ	١٩٧	٧٩
أيدروجين	يد	١	١
نحاس	نح	٦٣ ١/٢	٢٩
حديد	ح	٥٦	٢٦
رصاص	ر	٢٠٧	٨٢
مغنسيوم	مغ	٢٤	١٢
زئبق	ـص	٢٠١	٨٠
نتروجين	ن	١٤	٧

(ب) ***المعادلات الرياضية*** : وهى صيغ رمزية للتعبير عن علاقة معينة أو قانون .

(جـ) ***الرسوم*** : وهى أشكال تخطيطية توضح بنْية معينة ، كالدوائر الكهربائية أو الإنشاءات المعمارية أو التصميمات الهندسية أو الإتحادات الكيميائية .

٣ ـ ***المصطلحات*** : المصطلح العلمى هو كلمة أو أكثر يتم الإتفاق على تخصيصها لتعنى مفهوماً محدداً[١] . ويوضح الدكتور عمر فروّخ[٢] أن وضع المصطلحات موحدة هو أمر من الأمور الهامة ، فلا يجوز أن يدل المصطلح الواحد على مُدْرَكين ولا أن يكون للمدرك الواحد مصطلحان أو أكثر .

٤ ـ ***القصد إلى حقيقة الأمور وعدم العناية الكبيرة بالشكل*** : وإذا كنا قد أكدنا على أن الوضوح سمة من سمات لغة العلم ، فإن الأمر يستلزم منا شيئاً من التفصيل ، فهناك نفر كثيرون يؤلّفون فى العلم كما يؤلّفون فى الأدب والشعر : يبدأ أحدهم بترجمة للأديب مملوءة « قال فلان وقال فلان » ، وقد يكوْن القولان متضادين ، ثم يحاول المترجم للأديب أو للشاعر أو لرجل السياسة باستعراض آرائه المختلفة ، ويحاول

---

(١) سوف نفصل القول فى هذا الموضوع فى باب قادم خاص بالمصطلحات العلمية .

(٢) فرُوخ (د / عمر) : لغة العلم . ضمن بحوث مؤتمر الدورة (٤٧) ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .

أن يوفق بين المتناقضات منها ، أو باستعراض اختلاف آراء الناس فيه . لكن هذا ـ على حدّ قول الدكتور عمر فروخ ـ ليس من سمات لغة العلم ... فما دام عندى قول فى وجه من وجوه العلم لابن سينا مثلاً ، فأنا ألغى كل قول لغير ابن سينا فى هذا الباب من آراء ابن سينا . وإذا كان تاريخ العلم قريباً من تاريخ الأدب ، فإن تقرير العلم يختلف عن تقرير الأدب . وكذلك فالجدال ـ كما يجرى فى الفلسَفة وفى الفقه وتخريج الأقوال ـ كما يقال فى اللغة والنحو ، وتسويغ الآراء ـ، كما يقال فى السياسة والاقتصاد ، ليست من لغة العلم .

٥ ـ ***المنطقية*** : لغة العلم تحتاج إلى منطق ، وهو كما يعبّر عنه الدكتور فروخ[1] التوالى الصحيح لحدوث الأشياء أو سبق الأسباب على النتائج ونسبة الفروع إلى الأصول .

٦ ـ **شمولية صفة العلم** : صفة العلم ليست وقْفاً على جوانب المعرفة الإنسانية فى عالم الأعداد وعالم الطبيعة ، بل يمكن أن تطلق على كل فرع من فروع المعرفة الإنسانية إذا سلك الإنسان فى بحثه مسلك الدقة والوضوح والمنطق .

٧ ـ ***سمات أخرى للغة العلمية*** : ذكر صاحب كتاب (العربية لغة العلوم والتقنية) سمات أخرى للغة العربية ، نرى من اللائق أن نثبتها هنا بشيء من التصرف الذى يخدم الغرض ويوجز المقصود .

أولى السمات : ***الحرص على تجنُّب الصور البلاغية*** ، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتورية فى اللغة العلميـة ، فهى لغة دلالتها مباشرة ، لا تعرف هذا التفنن الذى ينمّ عن المهارة الشخصية ، والذى يُقْصَدُ به تجميل التعبير ، وإخفاء الحقيقة ، وتزييف الواقع بالمبالغة والتناقض ، ذلك أن دقة اللغة العلمية تقع وسطاً بين الإفراط والتفريط ، وهما طَرَفا المبالغة ومبنى الصور البلاغية . إن لكل علم عبارات وألفاظاً لا يستحسن إيرادها فى علم آخر ، فلغة العلوم الطبيعية مثلاً غير لغة الموضوعات الأدبية ، ولغة التاريخ غير لغة الطب ، ولغة الكتابة غير لغة الخطابة ، وهكذا ...

وليس معنى هذا أن تخلو اللغة العلمية تماماً من أثر للوسائل البلاغية ، فهى قد تلجأ لبعض أنواع التشبيه لغرض الإيضاح ، كتشبيه أفريقيا على الخريطة بعنقود العنب ،

(١) فرُوخ (د / عمر) : نفس المرجع .

وكتشبيه إيطاليا بالحذاء ، وكتشبيه فوران سائل ما بفوران سائل آخر ، وتمثيل حدقة الأسد فى اتساعها ليلاً باتساع حدقة القط ، فهذا كله يساعد على توضيح الفكرة العلمية ، وهو لا يُخفى حقيقة ولا يزوّرها .

وثانية تلك السمات ما يمكن أنْ نطلق عليه : ***وحدة المفهوم التركيبى للجملة العلمية*** ، فإذا وصف كاتب علمى النار بأنها حمراء ، أو ذات لون بنفسجى وجب أن يراد من ذلك ما يدل عليه من خصائص لون اللهب ونوع الوقود الذى اشتعلت به النار ، دون أن يفهم منه التقابل بين لون النار ولون ثوب المحبوب أو خَدَّيْه ، فهذا طريق وذاك طريق آخر .

وأما السمة الثالثة فهى : ***التزام التعبيرات المحددة لغوياً أو رياضياً*** ، فإذا أراد عالم أن يُعَبّر عن بُعْد أحد الكواكب عن أرضنا فيجب أن يبتعد عن التعبيرات الغامضة وغير المحددة ، كأنْ يقول : إنه يبعد عنا سنوات ضوئية كثيرة ، أو مئات الملايين من الأميال ، فهذا أسلوب يليق بالخطباء والمتحدثين فى البرامج التليفزيونية مثلاً ، أما العالِم فيلتزم بكتابة الأرقام المحددة ، لأنها تعنى عنده نتيجة علمية تتصل بوسيلة الاتصال بالكوكب ، وأثر ذلك على المناخ الأرضى والمجالات المغناطيسية وغيرها من مشكلات علوم الفضاء .

فهل تتمتع لغتنا العربية بهذه الصفات حتى تكون بحقّ لغة العلم والتقنية ؟ إن هذا هو ما سيتضح بجلاء حينما نقف على أهم خصائص هذه اللغة الحية العريقة والتى نوجزها فى الفقرات القادمة .

خصائص اللغة العربية وقدراتها

أولاً : الاتصال الوثيق بالطبيعة :

ظهر لأهل اللغة العربية أن المفردات قد تكونت من أصول ثنائية البناء أى مركبة من حرفين ، تحاكى أصوات الطبيعة كأصوات الريح والمياه والمطر والرعد وأصوات الحيوانات وأصوات الإنسان البدائى ، مثل : هبوب الريح وخرير الماء ومواء الهرّ وصهيل الجواد ، فإن فاء الفعل وعينه فى أفعالها : هب ، خر ، ماء ، وصهل ، يحاكيان الصوت الطبيعى[1] .

(١) الخورى (شحادة) : تدريس العلوم باللغة العربية فى الوطن العربى . المجلة العربية للعلوم ، ٣ (٥) ١٩٨٤ م .

ثانياً : الاتصال المحكم بالمجتمع :

عاش العرب أُسراً محكمة الأواصر تجتمع فى أفخاذ وبطون وعشائر وقبائل تغوص عمقاً فى النسب الصريح وتنداح اتساعاً بالتزاوج والتوالد وهى فى كل حال متماسكة يشد بعضها بعضاً مفاخرة بالآباء والأجداد معتدة بالأبناء والأحفاد : قحطان وعدنان ، ومنها قيس وكندة وبكر وتغلب وتميم وهُذَيْل ، ... ، وعلى صورة هذا المجتمع ومثاله كان كلامهم وجرى لسانهم : الألفاظ تتوالد وبينها آصرة القربى ، فالأصل هو المصدر مثل : «عِلْمٌ» ، ومنه الماضى المجرد : عَلِمَ ، ومنه اسم الفاعل : عَالِم ، واسم المفعول : معلوم ، والصفة المشبهة : عَليم ، ووزن المبالغة : عَلامة ، واسم التفضيل : أعلم . ومن فعل « جَمَعَ » ، يؤخذ اسما الزمان والمكان : مَجْمَعٌ . ومن فعل « فَتَح » يؤخذ اسم الآلة : مفتاح ، ... وجميع هذه المشتقات متفقة فى حروفها الأصلية وترتيبها ومعناها الأصلى[1] .

ثالثاً : العربية لغة القرآن الكريم :

إن هناك شبه إجماع على أن وراء اللغة العربية سند هام أبقى على روعتها وخلودها هو « الإسلام » ، فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة والعصور المتباينة واللهجات المختلفة ، على نقيض ما حدث للغات القديمة كاللاتينية ، حيث انزوت تماماً بين جدران المعابد وكادت تنقرض ، فقد تفتت إلى عدة لهجات قريبة الشبه من بعضها لكنها بعيدة الفهم بالنسبة لأصلها اللغوى المتوارث .

ومن المعروف أن كل مسلم مطالب بتلاوة القرآن الكريم ، ومعنى هذا أن كافة المسلمين فى جميع بقاع العالم مطالبون بتعلم اللغة العربية ، إذاً فالقرآن الكريم سرّ بقاء هذه اللغة « المقدسة » ، التى لا توجد مثلها فى كافة الأمم ، فليس هناك لغة مقدسة فى العالم سوى اللغة العربية ، كما أنه ليس هناك لغة ضاد فى العالم سوى هذه اللغة الرفيعة . ولولا القرآن الكريم لاندثرت هذه اللغة أو على الأقل انزوت وقل من يتكلمونها وانهارت أصولها . وإذا كانت هناك لهجات محلية أو عامية فى البلاد العربية تختلف من بلد لآخر ، لكن الواحد من كل هذه البلاد إذا أراد أن يتحدث أو يكتب فإنه يتحدث ويكتب

---

(١) الخورى (شحادة) : نفس المرجع .

بالعربية الفصحى ، وهذه مسألة يعجب منها الأجانب الذين ينبهرون من قوة اللغة العربية وقدرتها على المثابرة والوقوف شامخة عبر حقب الزمن وفى أتون الكوارث والأزمات .

فهل من الأفضل للعربية أن ندعو إليها من منطلق قومى أم من منطلق إسلامى ؟ يجيب الدكتور أحمد فرحات عن هذا السؤال بقوله : إن المكانة التى تحظى بها اللغة العربية فى نفوس المسلمين جميعاً ، من عرب وغير عرب ، أكبر بكثير من المكانة التى يحاول دعاة « القومية » أن يعطوها للغة ، إنهم فى الظاهر يجعلونها عنصراً بارزاً من عناصر تكوين « الأمة » بالمعنى القومى ، ولكنهم فى الواقع لا يهتمون بدراستها وفهمها كما يهتم المسلم ، لأن ارتباط المسلم بها ارتباط دينى عقدى ، فهو يحرص على فهمها والتعمق فى أسرارها ليفهم أسرار كتاب الله تعالى ... إن الإسلام وإن كان يجعل « الدين » هو المقوّم الأول والأخير للأمة ، فإنه قد ربط بين الدين واللغة العربية بعروة وُثقى ، ومن ثم كان علماؤنا يقولون : إن تعلم اللغة العربية من الدين ، لأن فهم الدين متوقف عليها ، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً .

أما صاحب كتاب (كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية)[1] فإنه يحذر من الدعوة إلى اللغات العامية أو المحلية ، وذلك « لأن الهدف الذى تجرى وراءه قوى كثيرة هو القضاء على اللغة الفصحى وإحلال اللغة العامية محلها ، وذلك حتى ينفصل البيان العربى والأسلوب العصرى عن بيان القرآن ، فتحدث فجوة من شأنها أن تتسع عاماً بعد عام حتى يُقرأ القرآن فيما بعد بواسطة قاموس . ولما كان هذا لن يحدث أساساً فإن المحاولة التى يقوم بها الاستشراق والغزو الثقافى لم تتوقف ، وعلينا أن نكون فى تمام اليقظة لمواجهتها لأنها موجهة إلى الإسلام وليس إلى اللغة العربية » .

يقول المؤرخ سيديو : لقد حافظت اللغة العربية على وجودها وصفاتها بفضل القرآن ، ومن ثم فإن كل هذه المحاولات لإفساد جوهرها هى بمثابة هجوم على الإسلام يتخفّى وراء عبارات كاذبة مضللة .

ولما كان فهم القرآن فهماً تاماً لا يتأتى إلّا بتعلم اللغة العربية وإتقانها ، فإن تعلّم هذه اللغة إذن واجب ، فمالا يتم الواجب إلّا به فهو واجب . ولقد أفتى الإمام الشافعى فى

---

(١) الجندى (أنور) : كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية فى موجهة أخطار الأمم . دار الاعتصام بالقاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

كتابه (**الرسالة**) بأن تعلم العربية فرض على كل مسلم عربياً كان أم أعجمياً ، كما أفتى بذلك أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه (**اقتضاء الصراط المستقيم**)وقال به وأكده الإمام الشاطبى فى كتابيْه : (**الاعتصام**) و (**الموافقات**) . وقد فهم المسلمون الأوائل هذا جيداً ، فأتقن الفارسى والهندى والتركى وغيرهم من المسلمين اللغة العربية ، وشاركوا فى بناء صرح الحضارة الإسلامية الزاهرة التى شغلت نحو عشرة قرون من الزمان (من القرن السادس الميلادى حتى القرن السادس عشر ، حسب أغلب التقديرات) .

يقول الدكتور عبد الرحمن على[1] فى بحث له ألقاه فى (الندوة العالمية الأولى لمقاومة تحريف القرآن) : هناك مدارس نحوية حديثة فى اللغات الأوروبية أصبحت لها السيطرة **اليوم ، وهى تقول إنه ليس هناك ضرورة فى أن يُخطّىء النحو كلام الناس ، فمتى** ما أصبح الكلام شائعاً تجرى به الألسنة فهو كلام صحيح ، سواء خالف كلاماً قديماً أو لم يخالف . أما اللغة العربية فالأمر ليس كذلك ، فما خالف نحو القرآن أو قواعده سواء من الناحية اللغوية أو البلاغية فهو كلام ردىء ، وهذا سر قوة اللغة العربية ، حيث جعل لها مقياساً ثابتاً يرجع إليه عبر السنين ووصل القرآن بين الأمة الإسلامية ، ونحن اليوم نفهم كلام العرب قبل الإسلام ، بينما الفرنسيون والإنجليز وغيرهم لا يستطيعون أن يفهموا ما كُتب قبل ٤٠٠ سنة إلّا بجهد جهيد وبالاستعانة بالقواميس لحل غموض **اللغة التى يسمونها « الكلاسيكية » أو « القديمة » ، بعد أن تغيرت أساليبها وقواعدها ، والأمر ليس كذلك بالنسبة للغة العربية ، لغة القرآن الكريم .**

رابعاً : الوضوح والسهولة والمرونة والتطور :

يشهد المستشرق جرو بناوم فى مقدمته لكتاب « تراث الإسلام » أن اللغة العربية هى محور التراث العربى الزاهر ، هى لغة عبقرية لا تدانيها لغة فى مرونتها واشتقاقها ، وهذه العبقرية فى المرونة والاشتقاق اللذيْن ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب ، وأتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة .

---

(١) على (د / عبد الرحمن) : وقائع « الندوة العالمية الأولى لمقاومة تحريف القرآن الكريم بكتابته بالحروف اللاتينية أو بغيرها من الحروف » ، باريس فى ١٩ شوال ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨/٦/٤ م) . تغطية مجلة منار الإسلام ، ٤ (١٤) ١٩٨٨ م .

ويوضح الأستاذ أنور الجندى[1] أن اللغة العربية تملك من المرونة مالا تملكه لغة حية أخرى ، فالألمانى المعاصر مثلاً لا يستطيع فهم كلمة واحدة من اللهجة التى كان يتحدث بها أجداده من ألف عام ، بينما العرب المُحْدَثُون يستطيعون فهم لغتهم التى كُتبت فى الجاهلية قبل الإسلام . ولولا تطور اللغة العربية الدائب ما استطاعت الأجيال الجديدة أن تفهم لغة أجدادهم ، والمرونة التى تنطوى عليها لغة الضاد لم تنشأ جزافاً وإنما هى نتيجة حتمية لطبيعة اللغة العربية ، حيث إن ما تتميز به من موسيقية واضحة وقابلية للتزاوج مع اللغات الأجنبية جعل منها لغة حية مرنة متطورة .

ولقد أحصى الخليل بن أحمد (ت ١١٤ هـ / ٧٩١ م) الألفاظ المستعملة من اللغة العربية فوجدها خمسة ملايين وتسعة وتسعين ألفاً وأربعمائة لفظ فقط ، من جملة ستة ملايين **وستمائة** وتسعة وتسعين ألفاً وأربعمائة لفظ ، فكم يا تُرى من الألفاظ يُستعمل اليوم ؟! إنه أقل بكثير مما أحصى الخليل بن أحمد !!

فى بحث له حول جانب واحد فقط من جوانب عظمة اللغة العربية ، شرح الدكتور أحمد بسام ساعى[2] مميزات العربية فى النطق ، وحتى يأتى شرحه واضحاً مَبْنِيًّا على أساس علمى اتّخذ من اللغة الإنجليزية (وهى لغة منتشرة فى تدريس العلوم فى العالم الآن) أساساً للموازنة فى هذا البحث . وهذه بعض المقتطفات التى تخدم الهدف المقصود من بحثنا الحالى :

الحـــروف :

المعروف أن الإحصاء النظرى ، لا العملى ، لحروف اللغتين العربية والإنجليزية يظهر تقارب عدد حروفهما ، فهى ستة وعشرون فى الإنجليزية ، وثمانية وعشرون فى العربية ، أو تسعة وعشرون إذا عددنا الهمزة حرفاً ، وهو الأفضل لأن الألف مجرد حرف ساكن ، أما الهمزة فحرف صائت حلقى كالعين والحاء والهاء ، فالاختلاف واضح وقوى ـ هذا هو الإحصاء النظرى ، وهو إحصاء ناقص ومخادع لأنه بعيد عن الواقع العملى للغة .

---

(١) الجندى (أنور) : مراجع سابقة .

(٢) ساعى (د / أحمد بسام) : اللغة العربية بين اللغات ـ دراسة مقارنة باللغة الإنجليزية . الفيصل (٩٨) ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م .

إن حركات الفتحه والضمة والكسرة فى العربية ليست فى حقيقتها ـ على ضوء واقع اللغة الإنجليزية ـ إلّا حروفاً ساكنة كحروف الإنجليزية (a, o, e) ، وإن التنوين فيها أيضاً حرف آخر مركب من ألفٍ قصيرة ونون ، أو واو قصيرة ونون ، أو ياء قصيرة ونون ، أو إذا شئنا الاختصار فهو نون تضاف إلى أحد السواكن القصيرة الثلاثة ـ أى الحركات ـ فى آخر الاسم النكرة أو العلم المنصرف ـ لفظاً لا خطاً ـ، إذا وصفنا الألف والواو والياء بأنها المقابل الطويل لهذه السواكن القصيرة .

وتصل الإنجليزية إلى تلك السواكن الطويلة بتكرار القصيرة ، فالحرف (O) ساكن قصير فيها يتحول إلى ساكن طويل بتكراره كما فى (boot) أو بإضافته إلى ساكن قصير آخر مجانس له كما فى (four) ، وإن كانت الإنجليزية لا تملك قاعدة نهائية للتمييز الكتابى بين الساكن الطويل والساكن القصير ، فقد يتحول القصير كتابةً إلى طويل لفظاً كما فى (for) التى لا يختلف لفظها عن (four) ذات الساكنيْن المتجانسين ـ أو الساكن الطويل ـ بينما لا يحقق اجتماع الساكنين فى بعض الكلمات أى طول لأحدهما ، سواء أكانا متجانسين أم شبه متجانسين ، كما فى (curtain) ، أم غير متجانسين كما فى (does) .

ولكن الموازنة النظرية بين اللغتين تظهر أن هناك تسعة عشر حرفاً إنجليزياً من أصل ستة وعشرين لها ما يقابلها فى العربية ، وهى : أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ جـ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ـ س ـ ش ـ ف ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ هـ ـ و (W) ـ ى (Y) . وهناك ستة حروف عربية أخرى خشنة تقابل فى الإنجليزية ـ وفى العربية نفسها أيضاً ـ ستة حروف رقيقة ، وكأنّ الحروف الأولى تضخيم لهذه الأخيرة ، كما يظهر فيما يلى :

١ ـ (t) ت ط .	٢ ـ (d) د ض .
٣ ـ (th) ذ ظ .	٤ ـ (s - c) س ص .
٥ ـ (k) ك ق .	٦ ـ (h) هـ ح .

وإذا كان هذا الاختلاف بين الحروف الرقيقة والحروف الخشنة لا يعنى أية مشكلة لابن العربية فقد يكون ثمة مشكلة حقيقية أمام المقبل على تعلّم العربية من غير العرب ، إذْ ليس من السهل على اللسان الأوروبى ، مثلاً ، أن يخشّن الكاف (k) لتصبح قافاً عربية ، ولكن هذا ، من جانب آخر ، ليس من الصعوبة بحيث يكفى لوسْم العربية بصعوبة النطق ، فليس مطلوباً من المقبل على تعلّم العربية أن يلفظ القاف ، أو أى حرف عربى آخر ، كما يلفظه العرب تماماً ، على الأقل فى السنوات الأولى من دراسته ، فكيف

إذا كان العرب أنفسهم غير متفقين ، منذ الازل وإلى الآن ، على طريقة واحدة للفظ القاف ، وكذلك معظم الحروف الأخرى ، ولاسيما الحروف الستة التى نحن بصدد الحديث عنها الآن ، وهذا ، فى رأينا ، ما يؤكده الحديث النبوى الشريف : « **نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف** » .

وبعد أن ترسَّل الباحث فى كلامه عن تقارب الحروف وتباينها فى اللغة الإنجليزية ومقابلة ذلك فى اللغة العربية ، دَلَفَ فى حديث إلى « النظام النبرى » فقال : ... ولكن أهم ما يميّز العربية من الإنجليزية على الإطلاق هو النظام النبرى الذى يشكل أساساً هاماً لا يستغنى عنه من أسس الإنجليزية ، بينما لا تلتفت إليه العربية ، ولا تأبه بوجوده ، ورغم اختلاف اللهجات العربية اختلافاً شديداً بين المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، ووضوح النبر ، مثلاً على المقاطع الأخيرة من الكلمات فى بلاد المغرب العربى عامة ، فهذا لا يشكل عائقاً فى فهم الشعوب العربية بعضها لهجات بعض ـ عند استعمال الفصحى طبعاً ـ لأن النبر ـ كما أشار إلى ذلك الدكتور ساعى ـ ليس من أسس العربية ، والخلط فيه لا يشكل أى ضرر على اللفظ أو المعنى .

ثم بيَّن بعض الثغرات فى اللفظ الإنجليزى وخصَّ منها : توالى السواكن ، استطالة الكلمة استطالة يثقل بها اللسان ، ثم توالى الحروف المتشابهة مَخْرجاً أو اجتماعها بكثرة فى الكلمة الواحدة ، ولاسيما الحروف الصفيرية كالسين والشين والزاى .

ومن قبل ذلك قال الباقلانى فى « **إعجاز القرآن** » : ... ولضيق ما سوى كلام العرب أو لخروجه عن الاعتدال يتكرر فى بعض الألسنة الحرف الواحد فى الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيراً كنحو تكرر الطاء والسين فى لسان يونان، وكنحو الحروف الكثيرة التى هى اسم لشىء واحد فى لسان الترك ، ولذلك لا يمكن أن ينظم من الشعر فى تلك الألسنة على الأعاريض التى تمكن فى اللغة العربية . ثم يقول الأستاذ عباس العقاد[1] : ليست الأبجدية العربية أوْفر عدداً من الأبجديات فى اللغات الهندية الجرمانية أو اللغات الطورانية أو اللغات السامية ، فإن اللغة الروسية مثلاً تبلغ عدة حروفها خمسة وثلاثين حرفاً وقد تزيد ببعض الحروف المستعارة من الأعلام الأجنبية عنها ، ولكنها على هذه الزيادة فى حروفها لا تبلغ مبلغ العربية فى الوفاء بالمخارج الصوتية على تقسيماتها

---

(١) العقاد (عباس) : اللغة الشاعرة . ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٧ .

الموسيقية ، لأن كثيراً من هذه الحروف الزائدة إنما هو حركات مختلفة لحرف واحد أو حرف واحد من مخرج صوتى واحد تتغيّر قوة الضغط عليه كما تتغير قوة الضغط فى الآلات ، دون أن يستدعى ذلك افتناناً فى تخريج الصوت الناطق من الأجهزة الصوتية فى الإنسان .

وحديثاً أكدت الدراسات التى أُجريت فى علم الأصوات تفوق اللغة العربية على سائر اللغات العالمية من حيث جوانب كثيرة منها : غناها بالحروف ، وهذا يذكّرنا بقول قديم قاله الجاحظ : ... ولكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين ، واستعمال الجرامقة للعين . وقال الأصمعى : ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريان دال .

خامساً : درجة التنظيم :

فى هذا الجانب من جوانب عبقرية اللغة العربية ، يوضح الدكتور تمام حسان [1] عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن العربية بنْية جامعة مانعة ، شأنها فى هذا الطابع شأن كل اللغات ، ومعنى كونها جامعة أنها غانية بنفسها عما عداها ، فلها من أصولها وقواعدها ومعجمها ما يتيح لها أن تكون أداة للتواصل بين الناس ، دون أن تفتقر إلى أصل أو قاعدة من لغة أخرى ، ومعنى كونها مانعة أنها ترفض قبول هذه العناصر التى استغنت عنها بكمال ذاتها . فهى ترفض أن تضيف إلى أقسام الكلم فيها ، أو إلى ضمائرها أو أدواتها أو قواعدها ، شيئاً جديداً . فتأبى مثلاً أن تقدم الصفة على الموصوف ، أو أن تستخدم فى الجملة الإسمية فعلاً مساعداً ، وهلم جرا ، ولو حدث شيء من ذلك لانهدَّت البنْية وتحطمت ، ولم تعد النتيجة صالحة لأن تُوصف بـ « العربية » .

وهذه البنية العربية نظام كلى ، مكوَّن من أنظمة فرعية ، على نحو ما نرى جسم الإنسان جهازاً أكبر مكوَّناً من أجهزة فرعية ، كالجهاز الهضمى والدورى والتنفسى والعصبى والإفرازى و ... الخ ، يتضافر بعضها مع بعض بأداء الوظائف الخاصة التى

---

(١) حسان (د / تمام) : اللغة العربية .. معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط ١ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م . وبحث له بعنوان « خصائص اللغة العربية » ضمن بحوث كتاب مؤتمر الدورة (٤٧) ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .

يصل الجسم الإنسانى بمجموعها إلى التوازن الحيوى المنشود وهذه الأجهزة الفرعية لا استقلال لأحدها بوجود خاص ، ولا يبرر تناول أى واحد منها على حدة إلّا إرادة الشرح والتفسير فى سياق تشريحى أو فيزيولوجى . أما فى واقع الحياة فإن فصل واحد منها عن غيره يقضى على البنية كلها ، فيموت الإنسان بما فقد من وظيفة حيوية كانت لهذا الجهاز الفرعى .

كذلك العربية التى تمثل نظاماً مشتملاً على أنظمة فرعية ، كنظام الأصوات ونظام المقاطع ونظام النبر ونظام التنغيم ونظام المبانى الصرفية ، والإعراب والمطابقات والروابط والأدوات والرتب ، والتضام الذى يتمثل فى الافتقار والاختصاص والتنافى والتوارد ، ... الخ .

سادساً : الاقتصاد والإيجاز :

تجنح اللغة العربية إلى الاقتصاد أو الاختصار أو الإيجاز أكثر مما تجنح إلى الإطناب والتطويل ، فمثلاً نجد للكلمة الواحدة عدة مشتقات وعدة دلالات ، فالفعل ماضٍ ومضارع وأمر ، ويشتق منه اسم فاعل واسم مفعول وصفة واسم زمان واسم مكان واسم آلة ومصدر ونسب وتصغير وجمع بأنواعه و ... وإذا كانت اللغات الأخرى تشارك العربية فى وجود عدة معانى للكلمة الواحدة ، فالعربية فى هذه الخاصية أغنى وأثرى .

كذلك فمن قدرات العربية على الاقتصاد أو الاختصار إمكان إضمار بعض الأفعال فى بعض التراكيب ، ومثال ذلك « أهلاً وسهلاً » ، وهى تعنى قصدت أهلاً وحللت سهلاً ؛ وفى اللغة العربية أيضاً حذف بعض الجمل اعتماداً على أنها مفهومة من سياق الكلام ، ومثال ذلك قول الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ **فلما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان** ... ﴾ [القصص : ٢٣] ، فيسقون يعنى أنهم يسقون ماشيتهم ، وتذودان يعنى أنهما تردّان ماشيتهما .

كما أننا يمكن أن نحذف الخبر فى الجملة وهى مستقيمة ، ومثال ذلك قول الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ **والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً** ﴾ [النساء : ٣٨] ، فأما ﴿ **والذين**

ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ فخبرها هو أنهم عصاة لله أو متبعون للشيطان . وهذا الخبر مفهوم من ﴿ **ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً** ﴾ ، أى فمن اتخذ الشيطان له قريناً جرّه إلى المصير السيىء . ومن قبيل الحذف أشياء أخرى كثيرة ، كحذف المقابل فى الاستفهام ـ لأنه مفهوم من سياق الكلام ـ وحذف جواب الشرط أحياناً ، وهكذا .

وعلى أية حال ، فإن العربية تتميز بظاهرتين اقتصاديتين عبَّر عنهما الدكتور تمام حسان بقوله : إنهما ظاهرة تعدد المعنى للمبنى الواحد (سواء تعدد المعنى النحوى أو تعدد المعنى المعجمى) ثم ظاهرة النقل (سواء فى النحو أو فى المعجم) . يقول د / تمام حسان : تتناهى الألفاظ والأنماط التركيبية ولا تتناهى المعانى ، ومن ثمَّ يصبح على العربية أن تعبّر بالقليل المتناهى عن الكثير غير المتناهى ، فإذا تحقق لها ذلك فقد تحقق لها الاقتصاد بعينه . ولقد عمدت العربية إلى اصطناع بعض الوسائل التى تمكّنها من تحقيق هذه الخاصية ، ولعل أشهر هذه الوسائل :

(أ) *ظاهرة تعدد المعنى للمبنى الواحد :*

تعدد المعنى النحوى : إذا قلّت الألفاظ والأنماط وكثرت المعانى فأَوْلَى باللفظ أو النمط الواحد أن ينسب إلى عدد من المعانى ، وقد تحقق ذلك فى النحو بواسطة معانى الصيغ ومعانى الأدوات . كأن تصلح « استفعل » للطلب كاستخرج ، والصيرورة كاستحجر ، واعتقاد الشيء على صفة ما كاستصغر ، والمطاوعة كاستقام ، والاتخاذ كاستشعر ، وحكاية الشيء كاسترجع ، وقوة العيب كاستهتر ، والاستحقاق كاستحصد ، وكأن تصلح « تفعَّل » للمطاوعة كتكسّر ، والصيرورة كتحجّر ، والاتخاذ كتوسّد ، والتدريج كتجرّع ، والتكلف كتصبَّر ، وهلم جرا .

وسترى كيف تتعدد المعانى النحوية للأدوات ، كأن تصلح ما للنفى والموصولية والتعجب والمصدرية الظرفية والشرط والزيادة والإبهام ، أو كأن تصلح « أن » للشرط والنفى والتخفيف ، « عن » الثقيلة (أى المشددة) والزيادة ؛ وكأن تصلح اللام الجارة لعدد من المعانى كما تصلح للأمر .

تعدد المعنى المعجمى : أما تعدد المعنى المعجمي فحسبك أن تنظر فى أى معجم يخطر ببالك وسترى لكل كلمة مفردة عدداً من المعانى التى يمكن لها أن تؤديها بحسب

ما ترد فيه من الجمل . انظر مثلاً إلى اختلاف معانى لفظ « اضرب » فى الجمل الآتية : ضرب الأب ابنه ، ضرب الله مثلاً ، ضرب له موعداً ، ضرب له قبة ، ضرب فى القبة ، ... الخ .

(ب) ظاهرة النقل :

النقل فى النحو: لقد فطن النحاة إلى بعض مظاهر النقل فى النحو ، فأشاروا إلى العلَم المنقول عن الفعلية كيزيد ، أو الوصفية كصالح أو المصدرية كنصر ، كما فطنوا إلى نقل نمط التركيب الخبرى إلى معنى الدعاء ، ونقل التركيب الاستفهامى إلى الإنكار أو التقرير أو العرض أو التحضيض . ولكنهم كذلك طبقوا ظاهرة النقل دون إشارة إلى هذا المصطلح فى حالات أخرى ، كقولهم فى « ما » التعجبية أن أصلها الاستفهام وقد أُشربت معنى التعجب (أى نُقِلت إلى التعجب) ، غير أن ظاهرة النقل فى النحو أوسع انتشاراً من ذلك ، ولكن المقام لا يتسع هنا لبسط القول فيها .

النقل فى المعجم : فهو ما نسميه المجاز ، فالمجاز « نَقْلٌ » بحكم التعريف ، لأنه نقل اللفظ من معناه الحقيقى إلى معنى آخر ليس له بحكم وضعه ، وذلك بواسطة علاقة فنية تربط بين اللفظ ومدلوله المجازى ، والقرينة تمنع أى توهّم لأنْ يكون المدلول المجازى مقصوراً على الحقيقة .

كذلك فهناك من قدرات العربية ميلها إلى التركيز سواء بنبذ استعمال الأفعال المساعدة فى التعبير عن علاقة الإسناد فى الجملة الإسمية ، أو قابليتها للتلخيص والتحويل . ومن هذه القدرات أيضاً إمكان استغنائها بالأصناف عن المفردات ، والاقتصاد فى الجهد كالتأليف والإدغام والمناسبة الصوتية والإعلال والإبدال والتخلص من التقاء الساكنيْن وغير ذلك .

سابعاً : توفّر وسائل النمو اللغوى :

تمتلك اللغة العربية قدرات عظيمة تمكّنها من استيعاب العلوم الحديثة والتقنيات المعاصرة ، ومن هذه القدرات والإمكانات سبل إنتاجها لمصطلحات وألفاظ جديدة ، ومن أهم هذه السبل : الاشتقاق والإلصاق والمجاز . على أننا سوف نفرد لوسائل أخرى هى النحت والتوليد والتحديث وغيرها فصلاً قادماً إن شاء الله ، وهى الوسائل التى يلجأ إلى الأخذ بها القائمون بالترجمة والتعريب بعد أن تعييهم القرائح فى إيجاد مطلوبهم بالاشتقاق أو الإلصاق .

(أ) الاشـــتقاق :

يُعَرِّف صاحب كتاب (العربية لغة العلوم والتقنية) الاشتقاق بأنه : استخدام الحركات فى صوغ الكلمات من المادة على أساس قياس مطرد ، ويُعَرِّف « القياس المطّرد » فى صوغ المفردات بأنه نظام معين تخضع له الحركات حين تدخل على الصوامت . وبعبارة أخرى : تكوّن الحركات مع الصوامت ما يسمى « المقاطع » ، التى هى من حيث الكمية أكبر من الصوت ، وأصغر من الكلمة غالباً ، وقد يتساوى المقطع مع الكلمة ولاسيما فى الأدوات ..

وللمقطع العربى أشكال أساسية ثلاثة هى : **الأول** : المقطع الصغير ، ويتكون من صامت + حركة قصيرة . **الثانى** : المقطع الطويل المقفل ، ويتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت . **الثالث** : المقطع الطويل المفتوح ، ويتكون من صامت + حركة طويلة .

هذه المقاطع الثلاثة هى التى يتكون منها الكلام العربى المتصل ، ولابد لكل كلام متصل عربى أن ينتهى فى التحليل الأوّلى للصيغ إلى هذه المقاطع ، كلها أو بعضها . وهناك صورتان مقطعيتان تردان فى النطق ، فى حالة الوقف غالباً ، وهما : **الرابع** : المقطع المديد المقفل بصامت ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامت ، مثل النطق بالفعل (كان ـ Kaan) ، **والخامس** : المقطع المديد المقفل بصامتين ، ويتكون من : صامت + حركة قصيرة + صامتين ، مثل النطق بكلمة (قدر – qadr) .

هناك ثلاثة أنواع من الاشتقاق : الصغير والكبير والأكبر ، ومن أجل هذا توصف العربية بأنها لغة اشتقاقية ، لأنها تتوصل كلماتها عن طريق استخدام المادة بجميع صور الاستخدام . وأكثر العلماء على أن الاشتقاق نوعان : صغير وكبير ، **فالصغير** هو : أن تتفق جميع المشتقات فى ترتيب حروفها الأصلية ، ومثال ذلك المصدر « كتابة » ، فالفعل الماضى المجرد « كتب » والمضارع « يكتب » ، واسم الفاعل « كاتب » ، واسم المفعول « مكتوب » ، ...

أما **الاشتقاق الكبير** فلا يشترط فيه اتفاق الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة فى ترتيب الحروف ، ويسمى أيضاً « القلب » ، ومثال ذلك : جَذَبَ وجَبَذَ ، وطفا وطاف . والطريقة الأكثر شيوعاً فى الاشتقاق هى الاشتقاق الصغير .

وهذه اشتقاقات من المصادر (أى أسماء المعانى) ، ولكنّ هناك اشتقاقاً يتم كذلك من أسماء الأعيان العربية مثل : أفلس من فَلَسٌ ، وذهَّب من ذَهَب ، وأَبْحَرَ من بَحْر ، ومن أسماء الأعيان المعرَّبة مثل : هَنْدَسَ ودَرْهَمَ وفَهْرَسَ من الهندسة والدرهم والفهرسة ، وبستنة ونخالة وبَلْور وأكْسَدَ من البستان والنحل والبلور والأكسدة .

ولابد من الإشارة إلى أن اللغة العربية تتميز بهذه الطريقة فى الاشتقاق على اللغات الأوروبية ، فلم تعرف اللغات الأوروبية هذا (التحول الداخلى) فى الحركات ، بل اقتصرت على طريقة تسمى (طريقة الإلصاق) . وقبل أن ننتقل إلى هذه الطريقة نورد أمثلة قليلة لمصطلحات صيغت بطريقة (الاشتقاق) ، وهى :

مَغْنَط من المغناطيس

هَنْدسَ من هندسة

لَهُوبٌ من قابل للالتهاب INFLAMMABLE .

(ب) الإلصـــاق :

يوضح الدكتور عبد الصبور شاهين أن المقصود بالإلصاق هو إضافة زائدة فى صدر الكلمة (prefixe) ، أو فى عجزها تسمى لاحقة (suffixe) ، أو فى وسطها تسمى حشواً (infixe) ، ويغلب على اللغات الأوروبية الاعتماد على السوابق واللواحق فى صوغ الكلمات ، ويقل ـ إن لم ينعدم ـ استعمال الحشو ، أى : التدخل فى قلب الكلمة بالتغيير أو بالإضافة ، وكل ذلك يطلق عليه مصطلح (الإلصاق) Affixation . ويوضح الدكتور شاهين أيضاً فى هذا المقام ميزة للغربية على اللغات العالمية فيقول : ... فالكلمة فى الفرنسية مثلاً ذات نواة ثابتة مكونة من صوامت وحركات معاً ، مثل sable ثم يضاف إليها ، أو يلصق بها لواحق مثل sabl(er ومثل sabl(e) ، وسوابق مثل : en- sabler ، desensabler ، وذلك بإدماج السابقتين . أو هما معاً ، مثل : des-en-sabl- ement ، غير أن النواة الأصلية لا تمس أية صورة من الصور الاشتقاقية ، وبهذا يحصلون فى الفرنسية أو فى الإنجليزية على جميع المشتقات .

أما فى العربية فإننا نستخدم إلى جانب (التحول الداخلى) عملية (الإلصاق) فندخل على المادة بعض السوابق واللواحق والدواخل أو الحشو ، فى شكل مقاطع كاملة ، تحمل بالقوة معنى وظيفة لغوية ، وبذلك تحصل على قدر وفير من الكلمات .

ويواصل صاحب (العربية لغة العلوم والتقنية) شرحه فيقول : ... وعملية الإلصاق لا تبتعد كثيراً عن عملية التركيب ، من حيث كونها جمعاً بين عناصر مختلفة فى تكوين واحد ، غاية ما هنالك أن التركيب يقوم على أساس الجمع بين عناصر مستقلة ، ذوات دلالة أما الإلصاق فهو جمع بين عنصر ذى دلالة ، وعناصر أخرى لا دلالة مستقلة لها ، بل هى مجرد حروف تظهر معانيها فى غيرها ، وهى فى الواقع أقل شأناً من حروف المعانى التى تؤدى وظيفتها فى التركيب مع احتفاظها باستقلالها الشكلى .

واللواصق فى اللغة العربية نوعان : لواصق اشتقاقية ، ولواصق دلالية : أما **اللواصق الاشتقاقية** فهى الداخلة فى صوغ المصطلحات العلمية وغيرها ، بحيث تصبح اللاصقة جزءًا من بنية الكلمة . ومن ضروبها : لواصق المضارعة ولاصقة الميم واسم الآلة ، ولاصقة المصدر الصناعى . فلاصقة المضارعة هى التى تدخل على الفعل الماضى فتحول زمانه إلى المستقبل ، ولاصقة الميم ذات دور كبير فى المشتقات العربية المتفرعة عن الفعل ، ومنها اسم الفاعل للحدث ، واسم المفعول واسم مكان الحدث واسم زمانه . وأما اسم الآلة فله أوزان مختلفة ، هى مفعل ، مفعلة ، ومفعال .

وأما لاصقة المصدر الصناعى فهى ياء مشددة مضافاً إليها تاء مربوطة ، ومن أمثلتها : الإنسانية ، الإسلامية ، المصرية ، العبودية ، ... وتقابلها فى الإنجليزية اللاصقة (-ism) وفى الفرنسية (-isme) . وكذلك فهناك مصطلحات تصاغ قياساً على المصدر الصناعى ، وتنتهى باللاصقة (-ty) مثل : المفاعلية reactivity ، الموصولية conductivity ، المَنْفَذِيَّة permeability ، المقاومية resistivity ، ... الخ .

وقد كانت من قبل فى مصدر صريح ، مثل المفاعلة Reactance ، المواصلة Conductance ، المَنَافَذة Permeance ، المقاومة Resistance ، وهكذا .

وأما **اللواصق الدلالية** فيعرّفها لنا الدكتور شاهين بقوله : هى ما يتصل بالكلمة من أدوات تفيد معنى زائداً عليها ، ولا تعتبر جزءًا من بنيتها ، وذلك كسابقة السين ، الدالة على الاستقبال فى الفعل المضارع ، وكلاحقة العدد ، مُثَنًّى أو جمعاً ، وكلاحقة التوكيد ، وهى النون الثقيلة والنون الخفيفة ، والأداتين « ما » ، « لا » حين تلصقان بالفعل ، فى مثل : ما جرى ، لا أدرى ، فينشأ عنهما : الماجرى ، اللاأدرية . وقد تلصقان معاً ، فيقال الما + لا + يعرف ، أى المالا يعرف . وهذه اللواصق تشيع فى اللغات الأجنبية بالسابقة (-iso) الدالة على التساوى ، أو السابقة (-mono) الدالة على

التوحيد ، أو السابقة (Poli or Poly) الدالة على التعدد . ومن هذه اللواصق (-sub) وهى فى الإنجليزية تدل على التصغير ، ولدينا فى العربية قاعدة للتصغير .

(جـ) المجـــاز :

وهو يعنى لدى علماء البيان الانتقال بالكلمة من معناها الأصلى إلى معنى جديد .. يقول صاحب كتاب (المصطلحية)[1] : أن واضعى المصطلحات يلجأون أحياناً إلى ألفاظ قديمة يطلقونها على مفاهيم جديدة فيصبح للكلمة مدلول جديد بدلاً من مدلولها المندثر ، أو مدلول جديد إضافة إل المدلول القديم . فمثلاً لفظة (القاطرة) كانت قديماً تعنى الناقة التى تتقدم القافلة ، فأصبحت الآن تعنى عربة من عربات السكة الحديدية ، و (السيارة) كانت فى الأصل القافلة ، لكنها تعنى الآن العَرَبَة التى يحركها محرك (موتور) ويتنقل بها الناس من مكان لآخر ، و (الطيار) فى الأصل الفرس الشديد ، ويعنى الآن قائد الطائرة أو صفة ما يطير من المواد الكيميائية .. وهكذا ألفاظ مثل الشاحنة والدراجة والباخرة والمدمرة ..

وقد استخدم الأولون ألفاظاً كثيرة جداً بطريقة المجاز ، منها الصلاة والزكاة والصوم ، إن الصلاة فى الأصل الدعاء وفى الشرع تدل على أفعال حصل معها الدعاء ، والزكاة فى اللغة النماء وفى الشرع إخراج المال ، والصوم لغةً الإمساك وفى الشرع هو الإمساك عن الأكل والشرب[2] .

ثامناً : الطبيعة الموسيقية

ذكرنا فيما سبق كيف أثبت بعض الكُتّاب والمفكرين واللغويين عظمة اللغة العربية فى جوانب عديدة ، وكان من بينها تفوقها على سائر اللغات فى الحروف ، وقد أوردنا أقوالاً للجرجانى قديماً وللعقاد حديثاً ، وغيرهما ، إلّا أننا نركز هنا على ما تتميز به العربية من إيقاع وما يتصف به نطقها من نغم وما يشيع فى تراكيبها من موسيقية تلقائية طبيعية ، الأمر الذى يجعلها خفيفة على اللسان ــ لا كما يظن الضعفاء ويروّج المغرضون فى صعوبتها ــ رفيعة الحس عالية المستوى فى التذوق والإشباع الشعورى .

---

(١) القاسمى (د / على) : مقدمة فى علم المصطلح (المصطلحية) . الموسوعة الصغيرة (١٦٩) ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر بالعراق ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

(٢) الخورى (شحادة) : مرجع سابق .

يقول صاحب كتاب « اللغة الشاعرة »[1] : إن اللغات السامية التى تشارك هذه اللغة ـ أى العربية ـ فى قواعد الاشتقاق لم تبلغ مبلغها فى ضبط المشتقات بالموازين التى تسرى على جميع أجزائها وتوفق أحسن التوفيق المستطاع بين مبانيها ومعانيها ، فالفرق بين ينظر وناظر ومنظور ونظير ونظائر ونظارة ومناظرة ومنظار ومنظر ومنتظر ، وما يتفرع منها ، هو فرق بين أفعال وأسماء وصفات وأفراد وجموع ، وهو كله قائم على الفرق بين وزن ووزن ، أو قياس صوتى وقياس مثله ، يتوقف على اختلاف الحركات والنبرات ، أى على اختلاف النغمة الموسيقية فى الأداء .

وحكم الأسماء الجامدة كحكم المشتقات فى هذه الخصلة ، فإنها تجرى جميعاً على أوزان معلومة تشملها بأقسامها على تفاوت قوتها ذهاباً مع القول القائل بأن زيادة المبنى زيادة فى المعنى .

ويقول أيضاً : ... وعلى غير هذا النسق تجرى أوزان الكلمات فى اللغات الأخرى وأولها لغات النحت على التخصيص ـ كالإنجليزية والألمانية والفرنسية ـ فإن الكلمات فيها قد تجرى على وزن واحد بغير دلالة على اتفاق فى المعنى ... إن كلمات آن وبان وتان وثان وجان وذان وران وفان ومان ، توجد فى الإنجليزية اتفاقاً ، ومنها الحروف والأفعال والأسماء ، فليس بين أوزانها ومعانيها ارتباط على الإطلاق كالارتباط القياسى الذى يوجد فى أوزان العربية حيث اطردت على قياس واحد ، وهذا الذى نعنيه بدلالة الحركة الموسيقية فى تراكيب المفردات على حدة .

(١) العقاد (عباس) : مرجع سابق .